## الفصل السابع

# الحركات للعربية

المشهور أن اللغة العربية الفصحى مبنية فى أساسها على لهجة قريش ، بسبب ما كان لهذه اللهجة من منزلة وما كان لأصحابها من مكانة اجتماعية واقتصادية ودينية . وبمرور الزمن أصبحت هذه اللغة اللسان القومى للعرب فى القديم والحديث ، وتميزت من بقية اللهجات بتخلصها من الصفات اللغوية المحلية ، وبانتشارها انتشاراً واسعًا ، حتى لم يرو لنا أدب قويم أو أثر علمى عظيم إلا بها .

على أن اللهجات المحلية الخاصة بالقبائل المختلفة لم تمت ، وإنما عاشت مع الفصحى جنبًا إلى جنب ، ولكن استعمالها كان مقصوراً على أغراض الحياة اليومية : فى الحياة المنزلية والتجارية وما إليها .

ومن الطبيعى أن تكون الفصحى بالمعنى الذى قدمناه مختلفة فى كثير من المظاهر اللغوية عن هذه اللهجات . وهذه اللهجات — فى حقيقة الأمر — لم يعرف عنها إلا القليل ، وذلك بسبب عدم اهتمام العرب بتسجيلها أو تسجيل آثارها أيام التدوين الأولى . ولهذا يمكن القول بأن الكلام على هذه اللهجات وخواصها يكون فى الأغلب الأعم مبنيًا على الحدس والتخمين ، إذ أن ما روى عن هذه الخواص قليل لا يعدو أن يكون إشارات متناثرة هنا وهناك فى كتب الأدب واللغة .

ونحن حين نتكلم عن العربية هنا إنما نعنى العربية الفصحى المعاصرة ، وحين نتكلم عن حركات اللغة العربية إنما نعنى بها تلك الحركات التى ينطقها المتخصصون فى هذه اللغة والتى ينطقها القراء المجيدون فى جمهورية مصر العربية فقط . والسر فى ذلك أمران :

**الأول** : أنا لا نعرف عن الحركات العربية فى القديم إلا ما رواه بعض اللغويين كسيبويه وابن جنى وغيرهما ، ولكن الدراسة العلمية الدقيقة لها تقتضى منا شيئًا آخر هو الاستماع الحقيقى ، وأنى لنا ذلك وليست هناك مسجلات تساعدنا على التعرف على هذه الحركات

تعرفًا دقيقًا ؟فإذا تعرضنا للحركات العربية فى القديم كان ذلك اعتمادًا على ما قدمه لنا اللغويون القدامى من معلومات عنها ، وقد نخطىء فى الاستنتاج بسبب خطئهم هم ، وقد نكون على صواب . والفضل حينئذ يرجع إليهم لأنهم هم الذين خبروا هذه الحركات ومارسوها بالفعل .

الثانى : لا ندعى أن الحركات العربية فى البلاد العربية متحدة الصفة والنوع . فما لا شك فيه أن هذه الحركات تختلف اختلافًا من نوع ما فى البلاد العربية ، بسبب تأثر كل إقليم بلهجاته المحلية . وهذا هو السبب فى قصر الكلام على الحركات كما ينطقها المصريون المتخصصون وكما ينطقها مجيدو القراءات فى مصر حين لا يرتلون باللهجات أو بالقراءات المختلفة .

ولسنا نجاوز الحقيقة حين نقرر أن علماء العربية القدامى لم يعنوا بالحركات العناية اللائقة بها . فقد عدوا الحركات أشياء عارضة تعرض للأصوات الصامتة ، فهى تبع لها وليست مستقلة مثلها . فأصول الكلمات عندهم مكونة من الأصوات الصامتة وهذه الأصوات هى الأساس ، أما الحركات فهى أصوات من شأنها أن تعدل الصيغة أو الوزن فقط . وقد نلتمس للعرب عذراً فى ذلك ، هو أن العربية الأولى لم تكن فيها حروف أو رموز مستقلة للحركات ، وكان الاعتماد كله على الأصوات الصامتة . أما الحركات قبل أبى الأسود والخليل فكانت تستنتج استنتاجًا بمساعدة السياق والمقام . على أن ابتكار هذين العالمين لعلامات الحركات لم يغير — للأسف — نظرة هؤلاء العلماء إليها .

ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء العرب قد أدركوا معنى هذه الأصوات التى سموها بالحركات كما كانوا على علم بالفرق بينها وبين الأصوات الصامتة فى النطق والصفات ، وكذلك أدركوا أن هناك حركات قصيرة وأخرى طويلة وعبروا عن الفرق بين القصر والطول فى عبارات دقيقة تدل على العمق والتذوق . وقد بين ابن جنى ذلك كله فى قوله (سر الصناعة جـ١ ص ١٩ ) : « اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين ، وهى الألف والياء والواو . فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث ، وهى الفتحة والكسرة والضمة . فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو . وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة ، وقد كانوا فى ذلك على طريق مستقيمة » .

يؤخذ من هذا النص أمور مهمة هى :

١ ــ الحركات الأساسية فى اللغة العربية ثلاث هى الفتحة والكسرة والضمة .

٢ ــ هذه الحركات تكون قصيرة وطويلة . فالقصيرة معروفة وهى ما سماها ابن جنى حركات بالفعل ، والطويلة ما سماها بحروف المد واللين . وعدم تسمية حروف المد واللين حركات لا يعنى أنها ليست كذلك . فهى حركات عند ابن جنى وإن لم ينص على هذا نصًا ، وذلك مفهوم من كلامه حيث قال : « الحركات أبعاض حروف المد » فكأنها تتفق معها فى كل شىء مع فارق واحد هو القصر والطول .

٣ ــ أما الرموز أو العلامات التى تدل على هذه الحركات فهى العلامات المعروفة للحركات القصيرة ، والألف والياء والواو للحركات الطويلة .

بقى أن نقول إن ابن جنى فى عرضه للتفاصيل فى هذا الموضوع كان يخطىء حينًا ويصيب أحيانًا أخرى وليس هنا مكان التعرض لهذه التفاصيل . كما أن ابن جنى أشار فى ثنايا هذه التفاصيل إلى أنواع ثانوية من الحركات ، أهمها تلك الحركات المختلفة التى جمعت تحت باب « الإمالة » وذلك كالفتحة المشوبة بالكسرة ، وألف المد حين تمال فتصبح مشوبة بنوع من الكسر . وهذا النوع من الحركات سوف لانتعرض له هنا أيضًا لأنه ــ فى رأينا ــ أثر من آثار اللهجات المحلية القديمة ودراسة هذه الحركات يحتاج إلى بحوث مستقلة .

وخلاصة ما تقدم أن العرب القدامى اعترفوا بثلاث حركات للغة العربية ( بقطع النظر عن اللهجات ) . وهذه الحركات الثلاث قد تكون قصيرة أو طويلة . وهذا هو حال الحركات فى القديم . ونحن من جانبنا نقول : إن العربية الفصحى فى مصر الآن تشتمل على ثلاث حركات رئيسية تختلف طولاً وقصراً . فهى إذن ست على هذا الأساس الأخير . ولكن هذه الحركات الثلاث ( أو الست ) قد تعتريها صفات مختلفة بسبب السياق الصرتى الذى تقع فيه .

فالفتحة مثلا قد تكون مفخمة وقد تكون مرققة وقد تكون بين التفخيم والترقيق . فهى مفخمة مع أصوات الإطباق وهى الصاد والضاد والطاء والظاء وهى فى الحالة الوسطى بين التفخيم والترقيق مع القاف والغين والخاء ، ولكنها مرققة فى المواقع الصرتية الأخرى . فلدينا إذاً بحسب النطق الفعلى ثلاثة أمثلة للفتحة أو ستة حين تأخذ والقصر فى الاعتبار ، إذ أن

الفتحة الطويلة يعتريها ما يعترى الفتحة القصيرة من التفخيم وإخوته .

وهذا الشيء نفسه يطبق على الكسرة والضمة (طويلة وقصيرة) فهما مفخمتان مع أصوات الإطباق وبين التفخيم والترقيق مع القاف والغين والخاء . ولكنهما مرققتان مع الأصوات الأخرى . فلدينا ثلاث كسرات (أو ست) وثلاث ضمات (أو ست) ، فالحركات العربية إذن بهذا الاعتبار السياق تسع أو ثمانى عشرة .

ولكن ما أساس الاختلاف فى عدد الحركات المذكورة ؟ الإجابة سهلة ميسورة . إذا نظرت إلى الحركات من زاوية النطق الفعلى لها أمكننا أن نميز ثلاثة أنواع للفتحة ومثلها للكسرة ومثلها للضمة فهى إذن تسع . فإذا اعتبرت الطول والقصر صارت ١٨ حركة أو ١٨ مثالا للحركات .

أما إذا نظرنا إلى هذه الحركات من حيث الوظيفة أى من حيث كونها تفرق أو لا تفرق بين معانى الكلمات فهى ثلاث فقط أوست لو اعتبرت الطول والقصر مما تتميز به المعانى . وتفسير ذلك هو أن الفتحة بأنواعها الثلاثة تستوى من حيث التفريق وعدم التفريق بين معانى الكلمات . فالفرق فى المعنى بين « صبر » و « سبر » ليس راجعًا إلى وجود الفتحة المفخمة فى الكلمة الأولى والمرققة فى الثانية ، إنما يرجع إلى وجود الصاد فى الأولى والسين فى الثانية . وكذلك الفرق بين « صم وقم » ليس راجعًا إلى تفخيم الضمة فى الأولى وكونها بين بين فى الثانية ، ولكنه راجع إلى وجود الصاد فى الكلمة الأولى والقاف فى الثانية . وهكذا الحال فى الكسرة . ومعنى هذا كله أن أنواع الفتحة لا تفرق بين المعانى ، وكذلك أنواع الكسرة والضمة ، وإنما الذى يفرق هو الفتحة نفسها بوصفها ليست كسرة وليست الضمة وكذلك الضمة على أساس أنها ليست كسرة أو فتحة ، وكذلك الكسرة بوصفها ليست ضمة أو فتحة وقد يتضح ذلك أكثر من الأمثلة الآتية :

الفتحة :

صبر (فتحة مفخمة) الفرق فى المعنى لا يرجع إلى التفخيم فى الفتحة أو الترقيق
سبر (فتحة مرققة) أو الحالة الوسطى بينهما ، وإنما يرجع الفرق إلى وجود
قبر (فتحة بين بين) الصاد فى الكلمة الأولى والسين فى الثانية والقاف فى
الثالثة .

فالفتحة إذن حركة واحدة من الناحية الصوتية الوظيفية وثلاث من الناحية الصوتية النطقية الفعلية .

**الكسرة :**

| | | |
|---|---|---|
| صيام | ( كسرة مفخمة ) | الفرق فى المعانى يرجع إلى وجود الصاد فى الأولى |
| قيام | (كسر بين بين) | والقاف فى الثانية والنون فى الثالثة لا إلى الكسرات |
| نيام | (كسرة مرققة ) | المختلفة فى الترقيق والتفخيم . |

فالكسرة حركة واحدة من الناحية الوظيفية ولكنها ثلاث من حيث النطق الفعلى وتأثيره فى السمع .

**الضمة :**

| | | |
|---|---|---|
| صم | ( ضمة مفخمة ) | يرجع اختلاف المعنى بين هذه الكلمات إلى اختلاف |
| قم | ( ضمة بين بين ) | الأصوات الأولى وهى الصاد والقاف والدال ، |
| دم | ( ضمة مرققة ) | ولا يرجع إلى تفخيم الضمة أو ترقيقها أو كونها بين بين . |

فالضمة حركة واحدة من الناحية الوظيفية ولكنها ثلاث فى النطق .

فالحركات حتى الآن تسع من حيث النطق . والطول والقصر اختلاف فى الكم ، ويمكن إدراكه بالسمع ، فهى إذن ثمانى عشرة ، ولكنها من ناحية الوظيفة ثلاث فقط ، ويمكن أخذ الطول والقصر فى الحسبان لأهميته فى المعانى أحيانًا فهى إذن ست على هذا الأساس .

وفى كل الحالات يجب أن يكون واضحًا تمام الوضوح أننا أهملنا حركات اللهجات القديمة وما قد يكون هناك من حركات فى اللهجات الحديثة كلها . والكلام هنا كله منصب على حركات العربية الفصحى الخالية من الألوان اللهجية وكما يعرفها المتخصصون فى الثقافة العربية .

**موازنة بين الحركات العربية والحركات المعيارية :**

عرفنا مما سبق أن الحركات المعيارية الكثيرة التداول ثمان . ويجب أن نعرف الآن أن

هذه الحركات تمثل وحدات وأنواعاً للحركات ولا تمثل التفاصيل والدقائق الجزئية لها . ويتبين ذلك من الأشكال الترضيحية السابقة حيث لم نأخذ طول الحركات أو قصرها فى الحسبان . وحيث لم نحاول بيان أمثلة مختلفة للحركة رقم (١) ورقم (٥) مثلا وإنما اكتفينا بالأنواع الرئيسية دون التفاصيل .

وحين نود المقارنة بين الحركات العربية وهذه الحركات المعيارية نرى أن أدق طريق وأيسره هو محاولة ذلك أولا بطريق التوضيح البيانى بالرسم ، هكذا (شكل رقم ٤) :

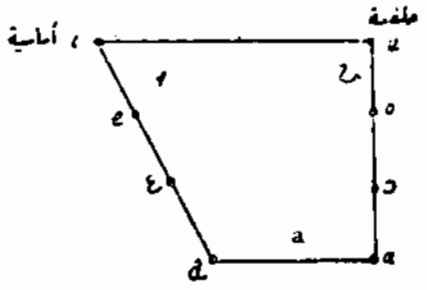


(الحركات المعيارية أشرنا إلى موضعها فى اللسان بالنقط الكبيرة ، أما الحركات العربية فهى فى داخل الشكل) .

يؤخذ من هذا الشكل ما يلى :

١ — اقتصرنا فى المقارنة على الحركات العربية الرئيسية الثلاث وهى الكسرة ، وقد أشرنا إليها فى الشكل بالرمز [i]، والفتحة وقد رمزنا إليها بالحرف [a] والضمة وقد صورناها بالحرف [o] .

٢ — نلاحظ أن الكسرة العربية أقرب ما تكون إلى الحركة المعيارية رقم (١) أو هى مثلها تقريباً مع فرقين اثنين :

**الأول** : أن مقدم اللسان مع الكسرة العربية أقل ارتفاعاً منه مع المعيازية رقم (١)، فالكسرة العربية إذن حركة ضيقة ، ولكن بدرجة أقل من المعيارية .

**الثانى** : أن أعلى نقطة فى هذا الجزء من اللسان تنحو نحو الخلف قليلا، أو بعبارة أخرى ، إن أعلى نقطة فى مقدم اللسان حين النطق بالعربية تكون خلف أعلى نقطة فى هذا الجزء من اللسان حال النطق بالحركة المعيارية رقم (١) . فالكسرة العربية إذن حركة أمامية ولكن ليس بالدرجة التى توصف بها هذه الحركة المعيارية .

٣ ــ الفتحة العربية أقرب ما تكون إلى الحركتين رقم ( ٤ ) ورقم (٥ ) أو هى بينهما من حيث جزء اللسان ، فأعلى نقطة فى اللسان حال النطق بالفتحة العربية هى وسطه ، ولكنها مع ذلك ليست حركة مركزية أو وسطى بالمعنى الذى ذكرناه سابقًا عند الكلام على الحركة المعيارية التاسعة . فاللسان مع الفتحة العربية يكاد يكون مستوياً فى قاع الفم مع ارتفاع خفيف فى وسطه . فهى إذن حركة متسعة . ولكن لا تبلغ فى ذلك مبلغ الحركتين رقم ( ٤ ) و( ٥ ) .

٤ ــ الضمة العربية أقرب ما تكون من الحركة المعيارية رقم (٨) أو هى مثلها مع فرقين .

**الأول** : أن الجزء الخلفى من اللسان حين النطق بالضمة العربية يكون أقل ارتفاعًا منه مع المعيارية رقم (٨) فالضمة حركة ضيقة ولكن ليس بالدرجة التى تصل إليها المعيارية فى ذلك .

**الثانى** : أن أعلى نقطة فى هذا الجزء الخلفى من اللسان تنحو نحو الأمام قليلا أو بعبارة أخرى ، إن أعلى نقطة فى الجزء الخلفى من اللسان مع الحركة العربية ( الضمة ) تكون أمام أعلى نقطة فى هذا الجزء نفسه حال النطق بالمعيارية رقم (٨) . ومع ذلك فالضمة العربية حركة خلفية ، ولكنها لا تبلغ مبلغ المعيارية رقم (٨) فى هذا الشأن .

هذا كله إذا اقتصرنا على الحركات الثلاث الرئيسية ، الكسرة والفتحة والضمة دون الإشارة إلى التفخيم والترقيق والحالة الوسطى بين التفخيم والترقيق ، فإذا أردنا بيان وضع اللسان مع الحركات الثلاث بصفاتها الثلاث المذكورة اختلف الأمر وبدا الشكل هكذا ( الشكل رقم ٥ ) :

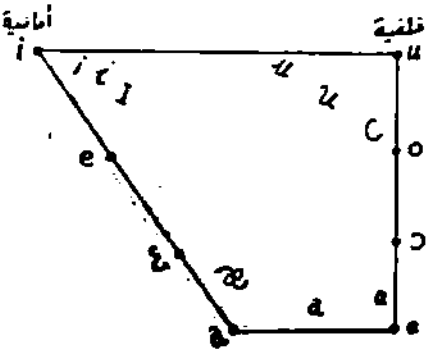

من هذا الشكل يتبين ما يلى :

١ — أنا ذكرنا الحركات الثلاث من التفخيم والترقين والحالة الوسطى . فالكسرة المرققة علامتها [ i ] والمفخمة [ ɪ ] والحالة الوسطى [ I ] والفتحة المرققة علامتها [æ] والمفخمة [ ɑ ] والحالة الوسطى [ ɐ ] . والضمة المرققة علامتها [ u ] والمفخمة [ ɔ ] . والحالة الوسطى [ ʊ ] .

٢ — يتبين من الشكل أن الكسرة المرققة هى أقرب الكسرات إلى المعيارية رقم ( ١ ) من حيث أمامية اللسان ودرجة ارتفاعه ، ومن حيث تقدم أو تأخر أعلى نقطة من هذا الجزء المرتفع . أما الكسرة المفخمة فهى فى منطقة المعيارية رقم ( ١ ) ولكنها تختلف عنها فى شيئين واضحين هما :

**الأول:** مقدم اللسان أقل ارتفاعًا مع الكسرة العربية منه مع المعيارية رقم ( ١ ) .

**الثانى :** أعلى نقطة فى الجزء الأمامى من اللسان مع الكسرة المفخمة تبعد إلى الوراء عن أعلى نقطة مع المعيارية رقم ( ١ ) ، فهى من حيث درجة علوّ اللسان تعد فى المركز الوسط بين الضيقة ونصف الضيقة ، ولكنها لا تزال حركة أمامية .

كما يتبين من الشكل أن الفتحة المرققة هى المركز الوسط بين المعيارية رقم (٣) والمعيارية رقم ( ٤ ) . أما الفتحة المفخمة فهى أقرب ما تكون إلى المعيارية رقم ( ٥ ) أو هى مثلها مع فرقين هما :

**الأول :** أن خلف اللسان مع الفتحة المفخمة يكون أعلى منه مع المعيارية رقم ( ٥ ) .

**الثانى :** أن أعلى نقطة فى هذا الجزء الخلفى مع الفتحة المفخمة متقدمة قليلا على أعلى نقطة فى هذا الجزء الخلفى من اللسان حين النطق بالمعيارية رقم ( ٥ ) . ومع ذلك فالفتحة المفخمة حركة خلفية وبين المتسعة نصف متسعة . أما المرققة فهى أمامية وتقرب من الحركات نصف متسعة .

أما الضمة المرققة فهى قريبة من المعيارية رقم ( ٥ ) من حيث درجة علو مؤخر اللسان، ولكن هناك فرقًا واضحًا . هو أن أعلى نقطة فى الجزء الخلفى من اللسان مع الضمة العربية متقدمة إلى حد ملحوظ عن أعلى نقطة مع المعيارية رقم ( ٨ ) . أما الضمة المفخمة فهى قريبة من المعيارية رقم ( ٧ ) ( لا ٨ ) ، مع فرق واضح هو أن الجزء الخلفى من اللسان حال النطق بها أكثر ارتفاعًا منه مع رقم ( ٧ ) وأن نقطة فى هذا الجزء من اللسان متقدمة عن

أعلى نقطة من هذا الجزء الخلفي نفسه مع المعيارية رقم ( ٧ ) .

فالضمة المفخمة إذن حركة خلفية ولكنها تقريبا نصف ضيقة .

٣ ــ واضح من مقارنة الشكلين رقمى ٤ و٥ بعضهما ببعض أنا وضعنا فى الشكل رقم ( ٤ ) الحركات التى هى بين التفخيم والترقيق وذلك لكثرة ورودها النسبى فى اللغة واتخاذها أساسًا لوقوعها فى المركز الوسط بالنسبة للمفخمة والمرققة وهذا ينطبق على الحركات الثلاث بدون تفريق .

**ملحوظة مهمة :**

بالنظر إلى الشكل رقم ( ٤ ) نجد أنا رمزنا إلى الحركات العربية ( بقطع النظر عن التفخيم والترقيق ) بالرموز [*U*, a, *i*] ؛ ولكن هذه الرموز نفسها هى رموز الحركات التى بين التفخيم والترقيق فى الشكل رقم ( ٥ ) . هذا النهج ضرورى حين نود دراسة الحركات بالتفصيل ، وحين نود مقارنة الرسوم بعضها ببعض . ولكن إذا أردنا أن نشير إلى الحركات العربية بدون أخذ التفخيم والترقيق فى الحسبان ودون توضيح ذلك بالرسوم ، فإنا عادة نشير إليها بالرموز[ i و a و u ) وهى رموز الحركات المرققة فى الشكل التفصيلى فى حالة الضمة والكسرة ، أما رمز الفتحة فهو رمز الفتحة التى هى بين التفخيم والترقيق . وقد فعلنا ذلك قصداً إلى التيسير والتسهيل فى الكتابة فى الحالات العادية .